

# قضايا الأدب والأدباء

## بين القروي وزيتون

بقلم: عبد اللطيف اليونس

الكثير . . !

وكان الأستاذ « زيتون » قد عاد قبلهما ببضع سنين . وكتبت بعض الصحف انه يملك عمارة ضخمة في حمص ! مع انه لا يملك الا عمارة من الادب الرفيع ، وجبلا من المروءة والترفع ، وجبلا من الخدمات المتواصلة ، وكنزاً لا يفنى من الثقافة والمعرفة ، عمر بهما المكتاب في الوطن والمهجر ، وغذى بهما الناطقين بالضاد ، هنا وهناك . وعين الأستاذ « زيتون » عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق . وكان هذا التعيين تقديراً للعلم ، وتكريماً له ، قبل ان يكون تكريماً لنظير زيتون ، وتقديراً لجهوده وجهاده .

بقي ان نعترف بالقصور والتقصير تجاه الادباء المهجريين - من شعراء وكتاب . وكانت النية متجهة الى دعوتهم على مراحل - قافلة بعد اخرى . وحالت الاحداث المتتالية دون تحقيق هذه الرغبة امس . . ويجب الا تحول اليوم .

ويذكر الدكتور « جمال الفرا » ، سفير سورية الحالي في روما ، انه قد اصطحب معه حينما عين سفيراً في البرازيل ، قائمة باسماء الادباء الذين يجب دعوتهم بالتتابع لزيارة سورية . وانه لم يغفل اسم اديب معروف ، من حملة الاقلام - سوريين ولبنانيين - في المهجر . ولكن الظروف - نفسها - قد اخرت تنفيذ هذا البرنامج - الذي ما يزال في مخيلة المسؤولين فكرة واملا .

من المسلم به جدلاً ان ليس كل المغتربين العرب اغنياء . ولعل اشدّهم حاجة الى العون والحدب ، هم بعض حملة الاقلام فيه . فذلك العالم الجديد قد طغت عليه الآلة حتى طغى هديرها على صرير الاقلام . واستبدت بمجتمعه نزعة مادية ما تزال تبتعد شيئاً فشيئاً عن مجتمعنا الشرقي ، وتقاليد ومقوماته . وقد اصبح لزاماً على المسؤولين ، في الوطن الام ، ان يتعهدوا تلك الاقلام بالعناية والوعاية ، بعضها ليستمر في الانتاج ، وبعضها تقديراً لما وهب في غابر السنين - وسواء من عاد منهم الى الوطن ، ام بقي في المهجر .

وان هذه الفئة الخيرة النيرة ، التي احتضنت قضيتها طوال عشرات السنين ، ودافعت عن لغتها وقوميتها دفاع الابطال ، وازادت الى خزانة الادب العربي ثروة جديدة لا نفاذ لها ، وكتبت بعرق جباهها ، وذوب افئدتها ، اروع ملحمة ، في اروع تاريخ نضالي ويطولي .

ان الكثيرين من هذه الفئة المؤمنة كانوا يسكنون « الآلة » بايديهم ليتغذوا بها ، ويمسكون القلم باخري ليغذوا به الآخرين . وكان لا بد ان تتحطم « الآلة » ، او يتحطم « القلم » . فآثروا « القلم » على « الآلة » ، وانصرفوا عن غنى المادة الى غنى الروح . وتخلوا عن جيب عامر بالمال ، في سبيل قلب عامر بالايان ، وضمير ملتهب بالاحساس الوطني والقومي . وسجلوا انتصاراً على الانانية والعجمة ، وقسوة الحياة .

ان الادباء المهجريين حملة رسالة - رسالة قومية

اعترف ، سلفاً ، ان لا مجال لهذا القلم ، ولا لاي قلم ، ان يتدخل بين « الشاعر القروي » ، والاستاذ « نظير زيتون » . فذاك علم من اعلام الشعر . وهذا علم من اعلام البيان .

وهما زميلان في « العصبة الاندلسية » ، ورفيقان في خضم الاحداث ، وصديقان منذ عهد طويل . فالاخاء بينهما وثيق العرى ، عميق الجذور . والصدقة تمتد الى اكثر من ثلث قرن - وما تزال في قوتها وفتوتها ونضارتها . ولكن المقال الذي كتبه الاستاذ « زيتون » في مجلة « الضاد » - واجاب عليه الاستاذ « القروي » في مجلة « الآداب » - قد تحدث فيه « النظير » عن اهمال الحكومات المتعاقبة ، دعوة ادباء مهجريين لزيارة الوطن الام . واقتصار الدعوة على الشعارين الكبارين « القروي » و « فرحات » . وقد جعلني ذلك المقال ، بصورة لا ارادية ، شخصاً ثالثاً في الموضوع .

لانه قد كان لسي ، وحدي ، شرف تقديم اقتراح لمجلس النواب بدعوة « القروي » و « فرحات » لزيارة سورية . وكان ذلك سنة ١٩٥٧ .

ووافق المجلس على الاقتراح ، واحاله السي وزارة الخارجية السورية للتنفيذ . وادى قيام الوحدة بين سورية ومصر الى تأجيل تنفيذه فترة غير قصيرة .

ولم نتوان خلال هذه الفترة عن مراجعة السطات المسؤولة ، هنا وهناك ، لتحقيق الرغبة المرجوة ، وتنفيذ قرار المجلس .

وجاء « القروي » ، ثم جاء بعده « فرحات » تصحبه عقيلته .

واشترك الاستاذ « زيتون » باكثر حفلات التكريم التي اقيمت لهما ، وكان علماً من اعلامها ، ورائداً من روادها .

وعاد « فرحات » الى البرازيل . واعلن « القروي » عن رغبته في البقاء - وليس له في وطنه اسرة ، ولا بيت ، ولا موطن قدم .

وللقروي ، في تاريخ النضال والكفاح ، ماض طويل عريض . ومواقف مشرفة كريمة ، ومكانة في قلوب العرب بيئة مرموقة . فهو وحده مدرسة في الوطنية ، ووحده ملحمة في تاريخ الاغتراب والمغتربين . وخصصت له السلطات المسؤولة مرتباً شهرياً يتقاضاه من الخزانة مدى الحياة .

وماضي « فرحات » كماضي « القروي » . ونضاله وكفاحه كنضاله وكفاحه . وهما - ايضاً - زميلان في « العصبة الاندلسية » - ورفيقان في خضم الجهاد والاحداث .

ولم يخصص لفرحات مثل هذا الراتب - رغم الموجبات الكثيرة والمبررات ! وانا ، شخصياً ، لا اجد عذراً للمسؤولين في هذا الاهمال - لا امس ولا اليوم . واذا كانت الدولة قد قامت ببعض واجباتها تجاهه ، فقد اغفلت

يسر ((الآداب)) ان تعلن ان عددها السنوي الممتاز سيكون في العام القادم خاصا بـ

# فلسطين

فلسطين : الارض المقدسة التي يستعد العرب اليوم ، في جميع اقطارهم ، لاسترجاعها من الصهيونية المقتتصة ، والتي طبعت النتاج الادبي ، في السنوات الخمس عشرة الماضية ، بطابعها المأساوي العنيف .  
و ((الآداب)) تدعو ادباء العربية ، من دارسين وقصاصين وشعراء ، الى المشاركة في تحرير هذا العدد الضخم الذي سيصدر في مطلع اذار ( مارس ) القادم ١٩٦٤ .

ونحن في وطننا العربي نتعثر بالفجار ، اكثر مما يتعثر غيرنا في بلده بالصخور !

قضية المغتربين . . ليست قضية حزب ، ولا عهد ، ولا حكومة معينة . حتى ولا قضية جيل واحد من الناس . وانما هي بدون شك ، قضية الامة العربية بأسرها . قضية كل من يهتم بتاريخ امته ، وامتدادها ، ووحدتها . قضية اصحاب الملايين في قطر ، والكويت ، والبحرين ، مثلما هي قضية اقارب المغتربين في دمشق وبيروت وعمان .

وفي يقيني ان العناية بالاقلام العربية في المهجر ، وتوجيهها ، والافادة منها ، واغناء اصحابها عن العمل في سبيل لقمة العيش ، وحصص كل طاقاتهم ، وامكاناتهم ، في سبيل اللغة العربية ، والاشراف على تعليمها لابناء المغتربين وحفدهم .

في يقيني ان ذلك سيساعد الى حد بعيد على بقاء اللغة العربية حية نامية في المهجر . وبقاء هذا الجسر قائما بيننا وبين المغتربين فيه .

ان اللغة هي مظهر القومية وجوهرها ، واطارها ومحتواها . وهي اهم دعامة من دعائم بنائها ويقائنها ووجودها . وكل تهاون بامر اللغة - لاي امة كانت - يعني التهاون بكيانها ووحدتها وخلودها .

وكل امة تخسر لفتها الاصلية الاصلية ، ستندغم في غيرها من الامم كما يندغم الجدول في البحر . وتذوب فيها كما يذوب السكر في الماء .

ولهذا ، وبالنسبة لامتنا العربية ، فان مستقبل الملايين من ابنائها المغتربين ، متوقف - الى حد بعيد - على مدى احتفاظهم بلغتهم ، والمحافظة عليها .

ومتوقف على مدى ما تقدمه الحكومات العربية من مساعدات لهم .؟

ومتوقف على مدى نشاط المبعوثين السياسيين العرب ، واخلاصهم وتفانيهم . . .

ومتوقف اخيرا ، لا اخرا ، على مدى حشد الاقلام العربية في المهجر ، وما تملكه من طاقات معنوية ، وكفايات علمية وثقافية . وتوفير جميع الامكانات اللازمة لها ، وتهيئة الفرص والظروف .

وانسانية . وقد ادوا رسالتهم على اكمل وجه ، وفي اقوم سبيل . وما يزال الباقون منهم على قيد الحياة ، يؤدونها احسن اداء ، واجمله واكمله .

وانه لمن المؤسف ، حقا ، ان يشعر واحداهم بالحاجة ، مهما كان نوعها ، ولا تمتد لمساعدته يد مسؤول في وطنه الام .!

لقد اعطوا وطنهم كل ما عندهم ، وكل ما يملكون من طاقة وامكانات ، ولم يعطهم وطنهم شيئا مما يستحقون ويستأهلون .!

ان بعضهم في غنى عن كل مساعدة وعطف ، وبعضهم في امس الحاجة للمساعدة والعطف .

ليس من المؤلم والمخجل ان تضطر الجالية الحمصية ، في سان باولو ، لتقديم اعانة شهرية للشاعر المبدع « نصر سمعان » ، بينما تستطيع بلاده ان تختصر حفلة رسمية واحدة ، تضمن له من نفقاتها حياة كريمة طوال عدة سنين !؟

وذوو الحاجة ، من الادباء المهجرين النوابع ، كثيرون ، وهم لما يجف مداد اقلامهم بعد ، وانما جفت موارد رزقهم ، مثلما جف ماء الحياء في وجوه الكثيرين (١) !

وطويت صحف كثيرة . واغلقت مطابع عديدة . وما تزال القصة التي رواها لنا شاعرنا العبقري « جورج صيدح » ، عن شاعرنا الراحل « ايليا ابي ماضي » ، وكيف اضطر الى ان يبيع مطبعة « السمر » ، واحرقها العربية بسعر الحديد الخام ! مثار تعليقات شتى ، ومثار الم جارف عنيف .

الحكومات العربية توزع « الاعانات » على الصحف المحلية وتمسكه عن الصحف المهاجرة !

في البلاد هنا مصلحة خاصة يجب ان تراعى . وفي المغرب ، هناك ، مصلحة عامة لم يحن عهد مراعاتها بعد ! او لم يحن عهد الاهتمام بها ، والالتفات اليها !

ومتى كانت المصلحة العامة ، في شرقنا العربي ، تقوم على المصلحة الخاصة ، وتسمو عليها !؟

ذاك بحث معقد وطويل ، وشائك لا يأمن الداخل فيه من العثار !

(١) سننشر في العدد القادم فضلا عن الشعراء المغتربين والتجارة ، وفضلا اخر عن حنينهم الى الوطن الام .

عبد اللطيف اليونس